«الأعداء الثلاثة وسُبل مكافحتها في منظور رسائل النور»

تقديم: أ. د. حامد أشرف همداني

أستاذ بقسم اللغة العربية

جامعة بنجاب، لاهور، باكستان

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد قام الإمام بديع الزمان النورسى منذ بداية عمله بتنظيم أفكاره التي سيجاهد في سبيلها طوال حياته ضمن برنامج ومنهاج معين. وقضية "الأعداء الثلاثة" تُعد مركز وقلب هذا البرنامج الذي وضعه لنفسه. وقد ذكر النورسى هذه الأعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتاباته، وعبّر عن أفكاره هذه بأساليب مختلفة إذ يقول: "إن أعداءنا هى الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق"(١).

والإيجابية في الحركة قاعدة إرشادية من قواعد رسائل النور، ترتكز على العلم، والمعرفة، والتبليغ، والإقناع، والود، والشفقة.

ومن هذا المنطلق استهدف هذا البحثُ إلى التعريف بمنزلة العمل الإيجابي لدى الإمام النورسى، وبيان منهجه في مكافحة الأعداء الثلاثة. وذلك حسب التقسيم التالي:

المبحث الأول: العمل الإيجابي ومنزلته في رسائل النور.

المبحث الثاني: اهتمام النورسى في رسائل النور بالمشكلات الاجتماعية عامة.

المبحث الثالث: المنهج العام للنورسى في معالجة المشكلات الاجتماعية.

المبحث الرابع: الأعداء الثلاثة في رسائل النور: تفسيرها ومعالجتها.

المبحث الخامس: سُبل مكافحة الأعداء الثلاثة في منظور رسائل النور.

المبحث الأول: العمل الإيجابى ومنزلته في رسائل النور

الإيجابية في الحركة قاعدة إرشادية من قواعد رسائل النور، ترتكز على العلم، والمعرفة،

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: ديوان الحرب العرفي، إسطنبول ١٩٩٠م، ص٥٧.

والتبليغ، والإقناع، والود، والشفقة. وعلى طريق هذا النهج يتلقى ويتشارك المجددون كافة. وللأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي مكانة خاصة بين هؤلاء العظام الكرام الذين أصبحوا مظهراً للحديث النبوي "العلماء ورثة الأنبياء"[1] بكل معاني الكلمة. وميزته هذه تنبع من هول عصره، ونكبة زمانه. ففي زمانه أُستهدف الأركان الإيمانية، وألقيت الشبهات في القلوب المؤمنة من خلال أسئلة "لأي شئ..؟ ولماذا..؟"، وأصبحوا في ريب من أمرهم وعقيدتهم.

وبالإضافة إلى ذلك فقد أصبح الكفر والضلالة والسفاهة في زمانه بهيئة شخص معنوي عارم سيطر على الأرض كافة واستهدف بشكل مخطط الإيمانَ والإسلام والأخلاق. فهذا الأستاذ العظيم الذي حمل على عاتقه معنىً وظيفة التبليغ والإرشاد للوقوف حيال حركات الإفساد التي لم تشاهد لها مثيل في التاريخ ألقى دورساً قيمة لدفع الشبهات، ورفع إيمان المؤمنين من التقليد إلى مستوى التحقيق من ناحية ومن ناحية أخرى بيّن للمسلمين كيفية السير في دروب وعرة، مليئة بالألغام والأشواك والدواهي من خلال ما سطر من الرسائل والملاحق. فالحركة الإيجابية البنّاءة أساس لهذا السبيل السامق وسيره المطرد.

ويستهل الأستاذ النورسي آخر رسالة له بجمل تعتبر خلاصة لقواعد الإرشاد والتبليغ التي حاول تطبيقها طوال حياته كالآتي:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدّام، ومهمتنا القيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكول أمره إلى الله، إننا مكلّفون بالتجمل بالصبر، والتقلّد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا؛ وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البنّاءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي"[2].

---

(١) أبوداؤد، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داؤد، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، باب الحث على طلب العلم، رقم الحديث ٣٦٤١، وأبوعيسى الترمذي: سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث ٢٦٨٢، وأبوعبدالله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث ٢٢٣.

(٢) سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دارسوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م، القاهرة، ص٤٠٠.

لقد جعل النورسي من العمل الإيجابي البنّاء مبدأ لمواجهة ما تعرض له من ظلم، فجعل منه طريقة للعمل على نشر دعوة الله الذي استوحاه من القرآن الكريم، ذلك العمل الذي يعني القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، وأما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله لا من شأن البشر، نابذاً بذلك العمل السلبي الذي من شأنه استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح، وهو ما قد يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، وإلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب.

كان الأستاذ خبيراً بالتاريخ الإسلامي مطلعاً على أحداثه، وكان مطلعاً على الأفكار الثورية المعاصرة التي جاءت بها الماركسية التي قامت لها دولة في "الاتحاد السوفياتي" و"الصين" و"البلقان"، وكان مطلعاً على آثارها السلبية في المجتمعات التي حكمتها، وفي البلاد التي انتشرت فيها؛ ولذلك اتخذ منهجاً يبني ولا يهدم، يعمّر ولا يدمر، يحفظ البلاد والعباد من كل أثر سلبي، ويحقق مصلحة الإنسان.

إن العمل الإيجابي البناء كما يحدِّده الأستاذ النورسي يعني: الجهاد المعنوي أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه من الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج لرب العالمين الذي تكفل بها. وفي تسمية الدعوة بالخدمة إشارة إلى أن الأستاذ مستخدم لدى ربّه، يعمل لنشر دينه، ونيل رضاه، ولله الأمر من قبل ومن بعد، ومثله من سار على منهجه من طلاب النور. يقول الأستاذ:

"إن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة"(١).

وبياناً لذلك يقول الأستاذ: "إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية، أي بما هو موكول إلى الله. بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا"(٢).

فطريقة رسائل النور هي العمل الإيجابي والدرس الأخير الذي أعطاه بديع الزمان سعيد النورسي قبيل وفاته كان حول "التصرف الإيجابي".

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٦٩.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ص ٤٧٠.

المبحث الثاني: اهتمام النورسي في رسائل النور بالمشكلات الاجتماعية عامة.

كتب النورسي رسائل علمية لمعالجة المشكلات الاجتماعية، ويربو عدد هذه الرسائل على مئة وثلاثين رسالة، فجُمعت في تسعة مجلدات باسم: «كليات رسائل النور»، دوّن فيها منهجه الإصلاحي الذي حمله طلابه.

لقد أُلِّفت «رسائل النور» في العصر الذي شهدتْ فيه تركيا أعنف هجومٍ على الإسلام فعملتْ على إنقاذِ إيمان الشباب من فتنة الارتداد، وحافظت على اللغة العربية من خطة العلمانيين والقوميين لتدميرها، فأحيت مفاهيم القرآن ومقاصده؛ فقد سجل فيها النورسي كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم، فاشتملت على تفسيرات قيّمة لبعضِ آياته، وتوجيهات دعويّة توجز أهمّ معاني العبادة والعقيدة، ووظيفة الإنسان في الوجود، وإيراد نظائر من الكون للحقائق القرآنية، وإيضاح التوحيد الحقيقي ودلائله وثمراته، وأهمية الإيمان بالله تعالى ومعرفته ومحبته، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم، وكيفية رعاية حقوق الآباء والشيوخ، وبيان أضرار الدعوة إلى العنصرية، والرد على العلمانيين الذين حاولوا تغيير الشعائر الإسلامية، وبيان الحاجة إلى الصبر على المصائب، وأن المصيبة الحقيقية هي التي تصيب الدين، وبيان أشراط الساعة ودلائل الحشر، وبيان مسالك النفس الأمارة بالسوء، ووضع العلاج لأمراضها، وأساليب تزكيتها، والاعتصام بالكتاب والسنّة. ويلمسُ قارئُ رسائل النور اختلافِ الدواعي لكتابتِها، فقد يكون الداعي جواباً عن سؤال، أو ردّاً على أعداء الدين ودحضاً لشبهاتهم، أو تذكيراً لنفسه وزجراً لها، أو تفسيراً لآية قرآنية، أو تسلية للمصابين، أو مخاطبة للمسؤولين، أو دفاعاً عن قضايا المسلمين، ومع هذا الاختلاف فهي تشترك في خدمة هدف واحد من خلال مسارّين: أحدهما: ترسيخ أركان الإيمان في نفوس الأجيال، وتحصينهم ضدّ تيّارات الغزو الثقافي. وثانيهما: إبطال النظريات الماديّة الإلحادية، والردّ على دعاتها[1].

افتخر النورسي كثيراً ومصرّحاً بقدرة رسائله على علاج جميع المشكلات؛ ومن ذلك قوله: "فتجاه هذه الحالات المحيرة لا بد من ثبات عظيم، وصلابة تامة، ووفاء خالص، وغيرة

(١) بكير، حسن عبدالرحمن: بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن ١٤٢٠هـ، ص ٩٦ بتصرف.

على الإسلام تفوق كل شيء، وبخلافه ستبقى خدمة الإيمان عقيمة بائرة، وتكون ضارة... ألا فليعلم أهل السياسة علماً قاطعاً رغم أننا لا علاقة لنا بهم؛ أن العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة في هذه البلاد، وفي هذا العصر من الفوضى والإرهاب، ومن التردّى المريع والتديّ الرهيب؛ هو أسس رسائل النور"[١].

يرى النورسى أن أهم المشكلات التي سببت تأخر البلاد ستة، وهى: البؤس واليأس والجهل وانعدام الصدق والعداوة والاختلاف[٢]. إلا أنه لم ييأس النورسى من الإصلاح والتغيير، فقدّم الوصفات العلاجية الناجعة لتلك الأعراض المَرَضية، مثل: الأمل، والصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية، والمحبة، والترابط بين أفراد المجتمع، والشورى، فتلك مفتاح سعادة المسلمين[٣].

وسلك النورسى عدة مسالك لتثبيت المسلم على دينه، وإنقاذه من المشكلات، وأبرزُ مسالكه: الدفاع عن القرآن وتعاليمه ودفع الشبهات الموردة على العقيدة والشريعة، والشرح المفصّل بالأمثلة لأركان الإسلام ومقاصده وبيان وسائله وطرائقه، والشرح المفصّل بالأمثلة لوظيفة الإنسان في هذه الحياة والمراد من وجوده، والدعوةُ إلى العمل الجماعى وتقديم مصلحة الجماعة على المصلحةِ الفرديّة[٤].

وحدّد النورسى الأسس التي يجب الإستناد إليها في مواجهة المشكلات الحاضرة والمستقبليّة، ويمكن استخلاصها من رسائله، وأهمها: الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، والتقدم العلمى والعقلى الذي أشار إليه القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً، والجمع بين العلم والدين[٥].

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م، ص١٣٦ وص١٥٩.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٩٢ بتصرف.

(٣) بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٢- ٥١٥ بتصرف.

(٤) راجع للتفصيل: د. محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي ود. نهيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة السابعة والعشرون، العدد السادس والخمسون، ذوالحجة ١٤٣٤هـ أكتوبر ٢٠١٣م، ص٢٨٠-٢٨٢.

(٥) راجع للتفصيل: د. محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي ود. نهيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، ص ٢٨٢- ٢٨٤.

المبحث الثالث: المنهج العام للنورسي في معالجة المشكلات الاجتماعية.

ركّز النورسي في رسائله على تعريف معاصريه بمشكلاتهم، ومعالجتها بعدة وسائل، وإن القارئ لرسائل النور يجد أنها عُنيت بالمشكلات الاجتماعية بياناً وتحليلاً للأسباب والإجراءات العلاجية المناسبة لها، ويرى النورسي أن المشكلة الاجتماعية: هي كلُّ حالة أو ظاهرة تتناقض مع قيم الإسلام ومُثله العليا الثابتة، مما يؤثر في الفرد والمجتمع تأثيراً سلبياً؛ لذا تتطلب هذه المشكلات حلّاً جذرياً يتعاون فيه جميع أفراد المجتمع بإخلاصٍ، كل حسب طاقته.

وإن المطلع على رسائل النور يلحظ وضوح مفهوم المشكلات الاجتماعية في فكره، فقد بيّن مدى خطورتها، وأشار إلى انعكاساتها السلبية في حياة الفرد والمجتمع، وجزم بأن أسبابها لاتكون إلا من فعل الإنسان، وأكد أيضاً على تقييد مفهوم المشكلة بالحكم الشرعيّ، فلا يجوز أن يكون أفراد المجتمع حاكمين على وجود المشكلات ومحدّدين لها؛ بسبب تأثر بعضهم بالنظرة الغربية القائمة على افتراض العلاقة العدائية بين الدين والعلم، وإصرارهم على التغييب المقصود للمفهوم الديني للقيم ومصدرها، وتغييب الصبغة التربوية في حل المشكلات(١).

ولبيان سمات مفهومه للمشكلة نبدأ بقوله: "لقد وضع الظلم على رأسه قلنسوة العدالة، ولبست الخيانة رداء الحمية، وأطلق على الجهاد اسم البغي، وعلى الأسر اسم الحرية، وهكذا تبادلت الأضداد صورها"(٢).

وهذا يدل على أن المفهوم النورسي للمشكلات الاجتماعية امتاز بأربع سماتٍ، وهي كما يلي:

السمةُ الأولى: إضافة البعد الديني لمفهوم المشكلات، فكل ما يخالف القيم الإسلامية المنطلقة من القرآن الكريم والسنة النبوية من سلوكات أو مواقف تؤثّر في المجتمع هو في نظره مشكلة اجتماعية.

---

(١) راجع للتفصيل: د. محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي ود. نهيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، ص ٢٨٥.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٦٠٤.

السمة الثانية: التوافق وعدم الاضطراب في مفهومه للمشكلات الاجتماعية، والانسجام في عرضه لها؛ بسبب وحدة المصدر الحاكم على المشكلة.

السمة الثالثة: يُلحظ حرصه الشديد على حال من يعاني من المشكلات الاجتماعية، فلم يكتف بالتنظير، بل وصف المشكلة وتحدّث عنها وعن أسبابها وعلاجها، وأيد ذلك بضرب الأمثال.

السمة الرابعة: حدد النورسي الأركان الأساسية لمفهوم المشكلة الاجتماعية، وكان تحديده واضحاً في جميع رسائله، وقد ركّز فيه على البُعدين الديني والتربوي اللذين تفرضهما العقيدة الإسلامية(١).

فبهذا المنهج القرآني بلور النورسي تفسيره للمشكلات الاجتماعية، وأكّد على ذلك بقوله: "أما المنهج القرآني المعجز، ذلك المنهج الأقوم فقد أوضح الحقائق الإيمانية والمعرفة الإلهية المقدسة إيضاحاً أرفع بكثير وأسمى بكثير وأقوى بكثير مما أوضحه أولئك العلماء والأولياء، ورسائل النور إنما تفسّر هذا المنهج القرآن الأقوم الجامع الرفيع، وبه تتصدى للتيارات الفاسدة المضلّة المدمرة"(٢).

ومن خلال ما سبق عن تفسير النورسي للمشكلة نخلص إلى ما يلي لزيادة التوضيح:

أولاً: ينطلق تفسير النورسي للمشكلات الاجتماعية من فكر المدرسة القرآنية التي تحثّ على الإيمان والالتزام بأوامر الله، وتقوية الصلة بالله في نفوس الأفراد المكوّنين لَبِنات المجتمع.

ثانياً: عاش النورسي في تركيا في القرن العشرين، لكنه لم يربط تفسيره بأرض معيّنة، ولا بفترة زمنية محددة، ولا بحالاتٍ طارئة، كزمان الحروب وحالات الكوارث، فذلك تفسير مؤقت لايصلح لكل أرض، ولا لكل المراحل الزمنية اللاحقة، وإنما كان تفسيره شاملاً ينطبق على المشكلات الاجتماعية في كل بلاد المسلمين، وفي كل زمان؛ لأنه ينطلق من قيم المجتمع الإسلامي الدينية الثابتة، فهو تفسير علميٌّ صائب، وبديلٌ عن كل التفسيرات المادّية.

---

(١) راجع للتفصيل: د. محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي ود. نهيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، ص ٢٨٧- ٢٨٨.

(٢) النورسي: الملاحق، ص ٢٧٨- ٢٧٩.

ثالثاً: شمل تفسير النورسي مشكلات الفرد والمجتمع، وانتقل من قضايا الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع، ثم إلى القضايا العليا المشتركة والمصيرية التي تهم المجتمعات الإسلامية كلها.

رابعاً: أضاف النورسي إلى تفسيره للمشكلات الاجتماعية بُعداً تربوياً مهماً؛ فقد نظر إليها من زاوية المربي المشفق الحريص على مصلحة الأفراد والجماعات، وعدّ تلك المشكلات طعنات وجّهت إلى صدره فأوجعته أكثر من آلامه الشخصية، وأكد على ذلك مراراً، ومنها قوله: "لقد تحمّلتُ آلامي الشخصية كلّها، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي أنها توجه إلى قلبي أولاً؛ ولهذا تروني مسحوق الفؤاد، ولكن أرى نوراً سيُنسينا هذه الآلام إن شاء الله"[(١)].

فهذا النص يدل على إحساس النورسي بالمسؤولية الدينية تجاه مشكلات الأمة كلها، ويدلّ على إخلاصه، وأنه كان يعيشُ مشكلات أمته بالقلب والروح والوجدان، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «إنه بمقدار تيقظ القلب، وحركة الوجدان، وشعور الروح، تزدادُ اللذّة والمتعة، وتتقلبُ نار الحياة نوراً، وشتاؤها صيفاً، وهكذا تتفتح أبوابُ الجنان»[(٢)].

أما المنهج العام للنورسي في معالجة المشكلات الاجتماعية فيمكن بيانه حسب التفصيل الآتي:

أولاً: منهج النورسي في معالجة مشكلات الفرد

يرى النورسي أن تربية نفس الفرد ومعالجة جميع مشكلاته تكون بأربعة أساليب، وهي:

١- تصحيح عقيدة الفرد بمعرفة الله تعالى وصفات كماله ومنها صفة الحِكمة[(٣)].

٢- تصحيحُ سلوك الفرد باجتناب المحظورات وفعل المأمورات والعمل الصالح[(٤)].

٣- تربية روح الفرد بالترغيب بنعيم الآخرة والترهيب من العذاب كأنه واقع[(٥)].

٤- تربية عقلِ الفرد وتفكيره على النقد الواعي البنّاء والبحث عن الحقيقة[(٦)].

---

(١) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٤٩.

(٢) النورسي: الكلمات، ص ٨٩٥.

(٣) راجع للتفصيل: النورسي: صيقل الإسلام، ص١٢٢.

(٤) راجع للتفصيل: النورسي: الملاحق، ص ١٦٨- ١٦٩.

(٥) راجع للتفصيل: النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٨٣.

(٦) راجع للتفصيل: النورسي: صيقل الإسلام ص ٣٤.

ثانياً: منهج النورسي في معالجة مشكلات المجتمع

يرى النورسي أن تربية المجتمع ومعالجة مشكلاته تكون بأربعة أساليب، وهي:

١- معالجة المشكلات بخمسة أسس تشكل منظومة متكاملة من القيم الثابتة. (وهذه الأسس هي: الاحترام المتبادل، والشفقة والرحمة، والابتعاد عن الحرام، والحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة) [١].

٢- أن تكون العلاقات الاجتماعية قائمةً على المحبة والابتعاد عن الخصومة[٢].

٣- إصلاح النظام التعليمي في المجتمع وربط العلم بالدعاء والعبودية لله[٣].

٤- العمل بالروح الجماعيّة التي هي شخصية معنوية قوية لا تعرف الأنانية[٤].

المبحث الرابع: الأعداء الثلاثة في رسائل النور: تفسيرها ومعالجتها

إن أعداء بديع الزمان الثلاثة هي: الجهل والفقر والفرقة. وقد ذكر "سعيد القديم" هذه الأعداء الثلاثة في جميع مقالاته وكتاباته، وعبّر عن أفكاره هذه بأساليب مختلفة إذ يقول مرة: "إن كل مؤمن مكلف بإعلاء كلمة الله، والوسيلة الكبرى لهذا في هذا الزمن هو التقدم المادي. ذلك لأن الأجانب يسحقوننا تحت سيطرتهم واستبدادهم المعنوي بوساطة أسلحة العلوم والصناعات، وسنجاهد نحن بأسلحة العلم والصناعة ضد الجهل والبؤس والفرقة التي هي أعدى أعداء إعلاء كلمة الله"[٥].

وفي مقالة أخرى يقول: "إن أعداءنا هي الجهل والبؤس والفرقة، وسنجاهد ضد هذه الأعداء بأسلحة الصناعة والمعرفة والاتفاق"[٦].

وفيمايلي نتناول هذه الأعداء الثلاثة بنوع من التفصيل من خلال رسائل النور:

---

(١) راجع للتفصيل: بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٣م، ص ٤٠٦.

(٢) راجع للتفصيل: النورسي: صيقل الإسلام، ص ٥٠٩ والنورسي: اللمعات، ص ٢٣٥.

(٣) راجع للتفصيل: النورسي: الكلمات، ص ٣٥٤- ٣٥٥ والنورسي: الملاحق، ص ٤١٧.

(٤) راجع للتفصيل: النورسي: الملاحق، ص ١٦٣.

(٥) ديوان الحرب العرفي: ص٥٧ "أخذت هذه العبارة من مقالته المنشورة في "الجريدة الدينية" بتاريخ مارت ١٩٠٩م عدد٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٥.

العدو الأول: الجهل

قد صرّح النورسى في مواضع كثيرة من رسائله أن جميع المفاسد الاجتماعية تنبع من هذه الأعداء الثلاثة وبالتالي من الجهل: "ثم إن أعداءنا ليسوا هم "أي الأجانب" بل إن عدونا هو الجهل وماتولّد منه من منع إعلاء كلمة الله ومانتج عنه من مخالفة الشريعة. ثم البؤس وثمرته سوء الأخلاق وسوء التصرفات، والخلاف ومايتولّد عنه من الحقد والنفاق. وغاية اتحادنا هى الهجوم على هذه الأعداء الخالين من الإنصاف"[١]. ويقول: "إذا كان الأرمن قد أعلنوا عداوتهم لنا، فإنهم فعلوا ذلك تحت إمرة هؤلاء المفسدين الثلاثة"[٢].

والجهل في منظور النورسى رأس الشرور حيث يقول: "ثم إن الجهل هو عدونا ويسعى لإبادتنا، وهو ابن الآغا "السيد" أما البؤس فهو ابنه والخصومة حفيده"[٣].

وبديع الزمان الذي يرى الجهل أساس كل سوء، يرى أن الخلاص يكون بالعلم، يُستشف هذا المعنى من قوله: "كنت أرى الأحوال البائسة للعشائر في الولايات الشرقية، فأدركت أن جزءاً من سعادتنا الدنيوية سيتحقق بالعلوم الجديدة للمدنية"[٤].

ويُعَدُ بديع الزمان من القلائل من بين علماء زمانه الذين أعطوا أهمية كبيرة للعلم، إذ من الصعب أن نجد رجل علم في أوائل هذا العصر يملك كل هذه البصيرة النافذة عن مستقبل العلم. يشهد له قوله: "إن البشرية في أواخر أيامها على الأرض ستنساب إلى العلوم، وتنصب إلى الفنون، وستستمد كل قواها من العلوم والفنون فيتسلم العلم زمام الحكم والقوة"[٥].

العدو الثانى: البؤس

عرّف الجرجانيُّ الفقر بأنه: فقد ما يحتاج إليه، وأما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمّى فقراً[٦].

فعدم قدرة الإنسان على نيل احتياجاته الأساسية في الحياة يسمى فقراً، وهو الفقر

---

(١) بديع الزمان النورسي: الآثار البديعية، ص ٣٨١.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: مناظرات، إسطنبول ١٩٩١ ص ٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٦٩.

(٤) بديع الزمان سعيد النورسي: ديوان الحرب العرفي، إسطنبول ١٩٩٠، ص ٢٨.

(٥) بديع الزمان سعيد النورسي: الكلمات، دار سوزلر للنشر، إسطنبول، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٢٩٢.

(٦) الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م، ص ١٧٥.

المادي المرادف لمعنى الحاجة، ويعني بديع الزمان بـ"البؤس" التخلف المادي والتقني الذي أصاب المسلمين. وقد عبر عنه بعدة تعابير منها "الفقر" أو "الجوع" أو "الحاجة".. إلخ. وقد ربط النورسي حديثه عن الفقر بعقيدة الرزق، وأن الله تكفّل بأرزاق الناس، وأن المعاصي تؤدي إلى الحرمان والفقر، وفي هذا المعنى يقول: "إن الرزق قسمان: القسم الأول: هو الرزق الحقيقيّ الذي توقف عليه حياة المرء، وهو تحت التعهد الرباني بحكم الآية ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [(١)]؛ ويستطيع المرء الحصول على ذلك الرزق مهما كانت الأحوال إن لم يتدخل سوء اختياره، دون أن يضطر إلى فداء دينه أو التضحية بشرفه وعزّته. القسم الثاني: هو الرزق المجازي، فالذي يُسيء استعماله لا يستطيع أن يتخلى عن الحاجات غير الضرورية التي غدت ضرورية عنده نتيجة الابتلاء ببلاء التقليد، وثمن الحصول على هذا الرزق باهظ جداً ولا سيما في هذا الزمان، حيث لا يدخل ضمن التعهد الرباني، إذ قد يتقاضى ذلك المال لقاء تضحيته بعزّته سلفاً راضياً بالذلّ، بل قد يصل به حدّ السقوط في هاوية الاستجداء المعنوي، والتنازل إلى تقبيل أقدام أناس منحطين وضيعين، بل قد يحصل على ذلك المال المنحوس الممحوق بالتضحية بمقدساته الدينية التي هي نور حياته الخالدة"[(٢)].

ويعترف بديع الزمان بهذا الفقر وبهذا التخلف الذي يئن تحت عبئه العالم الإسلامي. ولكنه لايجعل هذا –كما يفعل بعض الماديين – وسيلة يأس يدفع الناس إلى حالة من الشلل يمنعهم من القيام بأية محاولة ومن بذل أي مجهود، على العكس من ذلك فإنه يجعل هذا دليلاً على قناعته بأن المسلمين سيتقدمون في المستقبل وسيلحقون بالغرب في مضمار العلم والتقنية بل سيسبقونه[(٣)]. ويشرح ذلك بالحاجة التي ظهرت في الغرب، والفاقة هي التي دفعته إلى التقدم. ويستند في هذا الصدد إلى المثل السائر: "الحاجة هي معلم المدنية"[(٤)].

العدوّ الثالث: الفرقة

يحتل هذا الموضوع الذي تناولته رسائل (المكتوبات والسانحات واللمعات والكلمات ...) مساحة واسعة منها وأولته اهتماماً واضحاً من خلال عرضه وشرحه وتحليله مطلقة عليه

---

(١) هود: ٦.

(٢) النورسي: اللمعات، ص ٢١٦.

(٣) بديع الزمان النورسي: الآثار البديعية، ص ٣٤٩ – وقبلها ص ٦٩.

(٤) سنوحات: أنقرة ١٩٧٦م، ص ٥٥.

أحياناً بـ(الفوضى) و(النفاق) و(الخصومة) و(التنافر) وطارحة أسس علاجه من خلال (الاتحاد) و(الاتفاق) و(الوفاق) و(التساند) و(التعاون) و(الأخوة) ومقسمة إياه إلى خلاف فكري وفقهي وخلاف في العمل والتربية، أما الاختلاف الفكري فهو الناشئ عن الاجتهاد وتعدد الآراء وتحوّل مسار هذا الاختلاف من اختلاف إيجابي يهدف إلى الوصول إلى الحق كما قال عنه الرسول ﷺ «اختِلافُ أصحابي رحمةٌ»[١]. أي عندما يروج المسلمون لمسلكهم دون أن يهدموا مسالك الآخرين أو يطعنوا فيها، ويسعون إلى إكمال النقص إن وجد ورأب الصدع والإصلاح ما استطاعوا لذلك سبيلاً[٢]. وجعل اختلافهم ينحصر في الوسائل لا في الأسس والغايات وأن يحسنوا إلى بعضهم ويجعلوا قول الرسول ﷺ «الحُبُّ في اللهِ والبُغض في الله»[٣]. أساس التعامل بينهم[٤]. إلى خلاف سلبي يسوده التنازع والشقاق والتعصب وتشنيع المخالف وتخريب مسلكه وهدمه[٥].

وقد نبهت رسائل النور على ضرورة حل الخلاف لاسيما أنه يسبب للأمة الإسلامية الركود والتخلف[٦]. ويشيع الجهل والتعصب بين المسلمين الأمر الذي جعل الغرب يحمل ظناً خاطئاً بأن الإسلام هو من يعين الاستبداد الذي شاع في المجتمعات الإسلامية في عصرنا هذا[٧].

ودعت رسائل النور المسلمين إلى ضرورة إنهاء النزاعات ونبذ المسائل الجزئية والعودة من

---

(١) قال الحافظ العراقي سنده ضعيف وذكره آدم بن أبي إياس في كتاب العلم بلفظ «اختلاف أصحابي لأمتي رحمة» وهو مرسل ضعيف، ينظر: زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج١، الطبعة الأولى، مصر المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦هـ، ص ٤٩.

(٢) بديع الزمان النورسي، كليات رسال النور (المكتوبات)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، المجلد ٢، ط٥، المكتوب الثاني والعشرون، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨م، ص ٣٤٢- ٣٤٣.

(٣) أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٩م، ط٢، رقم الحديث (٢١٤٧١)، ج٣٥، ص ٢٢٩.

(٤) النورسي، المكتوبات، المكتوب الثاني والعشرون، ص ٣٤٣- ٣٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٣؛ بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور (سيرة ذاتية)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، المجلد ٩، ط ٥، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨م، ص ٣١٤.

(٦) المكتوبات، المكتوب السادس والعشرون، ص ٤١٢- ٤٢٠، النورسي، سيرة ذاتية، ص٣١٤.

(٧) النورسي، صيقل الإسلام، المحكمة العسكرية العرفية، ص ٤٤٣

جديد إلى قوة العقيدة والترابط بروابط الإيمان والإخوة[1]. فضلاً عن حديثها عن أنواع أخرى من الاختلافات لاسيما الاختلاف بين الدعاة والجماعات الإسلامية والاختلاف بين المدارس الدينية والمدارس الحديثة والتكايا والزوايا وغيرها[2].

المبحث الخامس: سُبل مكافحة الأعداء الثلاثة في منظور رسائل النور

المطلب الأول: سُبل مكافحة الجهل

الجهل درجات ومراتب وأنواع، ودركها الأسفل ما تعلق بجهل الدين وحقيقته وما نتج عنه من مخالفة الشريعة. والذي أثار بديع الزمان سعيد النورسي في عصره هو إهمال المعرفة الدينية وخاصة في صفوف الشباب مما حدا به إلى تأسيس مدرسة النور المنتشرة في بقاع الأرض الواسعة، فكتابة الرسائل واستقطاب التلاميذ بأعداد كبيرة كان إسهاماً إصلاحياً متميزاً في حياة الأتراك وحياة الإنسانية عامة.

ولعل المطلع على الرسائل في تفاصيلها يدرك جيداً الأهداف العملية التي توخاها الأستاذ سعيد النورسي من مكافحة الجهل. فقد كان يرمي إلى إصلاح البنية التعليمية الدينية شكلاً ومضموناً فدعا إلى:

١- **علاج الجهل بسلاح المعرفة:** فعلاج الجهل الذي هو أساس كل سوء يكون بالعلم والمعرفة وتأسيس المدارس والمراكز التعليمية الدينية التي تجمع بين العلوم الدينية والدنيوية، وإنهاء التباين في الأفكار بين المؤسسات التربوية والدينية الثلاثة من حيث تدريس العلوم الدينية في المدارس الحديثة تدريساً حقيقياً وتحصيل بعض العلوم الحديثة في المدارس الدينية وتواجد علماء متبحرين في التكايا والزوايا[3]، وأن تتسلح الدول بسلاح العلم فبه القوة الحقيقة ذلك لأن "الحكومات التي تستند إلى القوة ستشيخ مثلها في ذلك مثل قوتها بسرعة، ولكن لما كان شأن العلم ومجده في تزايد مستمر، فإن الحكومات التي تستند إلى العلم ستكتب لها حياة أبدية"[4]. فعلاج

---

(١) النورسي، اللمعات، اللمعة الرابعة، ص ٣١- ٣٧

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي: ديوان الحرب العرفي، ص:٨٠. و بديع الزمان النورسي: الآثار البديعية، ص ٣٥٥.

(٣) النورسي، السيرة الذاتية، ص ٧٢

(٤) النورسي، صيقل الإسلام، المناظرات، ص ٤٠٧- ٤٢٨.

الجهل يكون إذن بسلاح المعرفة.

٢- **تفعيل دور المؤسسات العلمية الإسلامية التربوية:** وقد أفردت رسائل النور مساحة واسعة منها تبحث فيها شروط نجاح المؤسسة التعليمية بشكل يتناسب مع حاجة طالب العلم ومع حاجة أو متطلبات هذا العصر، فقد نصحت الرسائل طالب أي علم لاسيما طلاب العلوم الدينية أن يتخذ علماً من العلوم أساساً له ويأخذ خلاصة من كل علم من العلوم المتعلقة به لإتمام صورة ذلك العلم، وأن يهتم بالعلم الذي هو أهل لقدرته وبما هو مستعد للقيام به وترك العلوم التي لا يكون أهلاً باستيعابها أو الإحاطة بمداركها، فيكون الطالب عندئذ أقدر على محبة الصنعة وأقدر على احترام مقاييسها والفناء في إتقانها وإلا فإنه سيضيع قدراته في أمور هي خارجة عن نطاق قدرته وسيشوه الصنعة التي لا يميل لها لأنه خالف الفطرة...[١].

٣- **فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية،** بفتح نبع صاف لتلك العلوم بحيث لا ينفر منها أهل تلك المدارس[٢].

اجتهد النورسي رحمه الله لإصلاح نظام التعليم عند المسلمين لتسير فيه العلوم المادية والفلسفية الإنسانية في توافق وائتلاف مع القرآن الكريم والسنة النبوية. تقول ماري ويلد: "يقسم بديع الزمان تاريخ الإنسانية إلى تيارين، أحدهما تيار النبوة والأخر تيار الفلسفة والعلوم، ويربط كلا التيارين بذات الإنسان ويصور نتائج كلا التيارين. فالنبوة التي تمثل الوحي الإلهي تخاطب قلب الإنسان، أما الفلسفة فتخاطب عقله، والهدف هو اتفاق الاثنين، أي قيام الفلسفة باتباع الدين واتباع النبوة وخدمتها، وكلما تم هذا ذاقت الإنسانية طعم السعادة وعاشت في انسجام وتناغم. وعندما يفترق أحدهما عن الآخر ينسحب الخير والنور إلى جانب النبوة، ويتراكم الشر والضلالة – كما حدث في الغرب – في جانب الفلسفة"[٣]

---

(١) النورسي، صيقل الإسلام، محاكمات عقلية، ص ٦٦- ٦٧، والنورسي، السيرة الذاتية ص ٧١، ص ٤٩٧- ٤٩٨.

(٢) بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، ٢٠٠٢م، ص ٤٣٠.

(٣) مؤلفات بديع الزمان كنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب لماري ويلد. مؤتمر بديع الزمان، النورسي – إسطنبول ١٩٩٢م، ص ٢٢٢-٢٢٣.

فبهذا يؤلف بين الدين والدنيا وبين العلم والقرآن، فيكون علماء الحياة والكون بمنزلة الوجهين للعملة الواحدة، لأن كل طائفة ترى الحاجة بها إلى الطائفة الأخرى، فتصلح الواحدة بالأخرى. يقول رحمه الله: "ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك"[(١)].

٤- **فكرة تأسيس مدرسة الزهراء:** يرى النورسي أن تدريس الدين في المدارس العلمية والتقنية الحديثة يعصم الطلبة من الشك والإلحاد، وتدريس العلوم الحديثة في مدارس الشريعة يعصم طلبتها من التعصب وضيق النظر، فيلتقي الفريقان على سبيل وسط. وقد بدأ النورسي بنفسه فاطلع على العلوم الحديثة، وكانت له في التدريس طريقة مختلفة عما كانت عليه في عامة المدارس الشرعية، فكان يجمع بين الوحي وبين حقائق الكون والحياة كما عرفها الإنسان من خلال وسائل البحث العلمي عبر العصور. وفي تأليفه لرسائل النور تجده يجمع بين حجة الوحي المقروء وحقيقة الحياة والكون المنظور، فكانت العلوم الحديثة تسير من وراء الوحي وتشهد لحقائقه وتؤيد أحكامه[(٢)].

وعمل طول عمره على أن يسود هذا النظام في التعليم واجتهد وسعه لإنشاء- جامعة الزهراء- يتم فيها الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ويقرأ فيها الوحي المنزل والكون المخلوق[(٣)].

المطلب الثاني: سُبل مكافحة الفقر

قدم النورسي منهجه لمعالجة الفقر، وقد ركّز فيه على الجانب الروحي الإيماني، كما يلي:

أولاً: الإيمان بالله: فالإيمان بالله علاج لكل مرض مادي، وفي هذا يقول النورسي: "نعم، إن ألم الأمراض المادية الجزئية يذوب وينسحق تحت وابل السرور المعنوي والشفاء

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: مناظرات، إسطنبول - دار نشر سوزلر ١٩٧٧م ص ٧٢.
(٢) أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٩م: ص ٢٥.
(٣) المرجع نفسه ص ٢٥-٢٦، ص ٢٧، ص ٥٢، النورسي: "ملحق اميرداغ" الجزء الثاني ص ١٩٥.

اللذيذ، والقادمين من الإيمان"[1].

ويعللُ النورسى آثار هذا الإيمان في النفس الإنسانية تعليلاً تربويّاً، وذلك بقوله: "إن الإيمان بالله الخالق الرحيم هو الذي يجعل أرواحهم تنبسط، وقابلياتهم تنمو، ومواهبهم تتربى بسعادة – بما يكمن فيهم من ضعف وعجز – ويستطيعون أن ينظروا إلى الحياة نظرة اشتياق بتلقين التوكل الإيماني والتسليم الإسلامى تلقيناً يمكّنهم من أن يصمدوا إزاء ما ستجابههم من أحوال وأهوال"[2].

ثانياً: الإيمان باليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر كفيل بتخليص الفرد والمجتمع من المشكلات الاقتصادية الداخلية والخارجية، وقد سماه النورسى بـ:"نقطة استناد البشر"، فقال فيه: "إن نقطة استناد البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الخارج والداخل، مع عجزه وقلة حيلته، وكذا نقطة استمداده لآماله غير المحدودة الممتدة إلى الأبد مع فقره وفاقته، ليس إلا معرفة الصانع والإيمان به والتصديق بالآخرة، فلا سبيل للبشرية المتيقظة إلى الخلاص من غفوتها سوى الإقرار بكل ذلك"[3].

ثالثاً: الدعاء المستمرّ والتضرع إلى الله تعالى: وفي الدعاء مزيد من إظهار الفقر المعنوي والحاجة إلى الله تعالى، والتضرّع وسيلة لاستدرارِ الرزق، وقد عبّر النورسى عن ذلك بقوله: "وحيث إن الإنسان متعرّض لما لايُحصى من أنواع البلايا والمطالب ومهاجمة الأعداء لما يحمل من عجز مطلق، وله مطالب كثيرة وحاجات عديدة مع أنه في فقر مدقع لا نهاية له؛ لذا تكون وظيفته الفطرية الأساس: الدعاءَ بعد الإيمان، وهو أساس العبادة ومخها"[4].

وبهذا ترى أن النورسى قد حوّل مشكلة الفقر إلى نعمة تبقى المسلم في تذكر دائم لخالقه، وتضرع خالص لرازقه، فهو يأخذ بالأسباب اللازمة، ويستسلم للقدر، ويتشوّق لرحمة ربه.

رابعاً: الصوم وأداء الزكاة يوثقان العلاقة بين الأغنياء والفقراء ويعالجان أسباب الفقر: يشيرُ النورسى إلى كفاية التشريعات الإسلامية للقضاء على الفقر، وقدرتها على علاج مشكلته، فالزكاة من أنجح الوسائل في ذلك، وفيها توثيق العلاقة بين الأغنياء والفقراء،

---

(١) النورسي: اللمعات، ص ٣٢٢.
(٢) النورسي: المكتوبات، ص ٥٤٥.
(٣) النورسي: صيقل الإسلام، ص ٤٩٤.
(٤) النورسي: الكلمات، ص ٣٥٥.

وفي ذلك يقول: "إن الناس قد خلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة، وعليه يدعو الله الأغنياء لمد المعاونة لإخوانهم الفقراء، ولاجرم أن الأغنياء لا يستطيعون أن يستشعروا شعوراً كاملاً حالات الفقر الباعثة على الرأفة، ولايمكنهم أن يحسوا إحساساً تاماً بجوعهم إلا من خلال الجوع المتولّد من الصوم"(١).

ويحثُّ النورسي الأغنياء على الصوم، ليكون داعياً لهم أن يبذلوا أموالهم في الزكاة، فالجوعُ يجعل الغني يعيش الواقع العملي للفقير، فتتوحد مشاعرهما، ويجتهد الغنيُّ في أداء الزكاة، فتقوى صلته بمجتمعه، ويشعر الفقير بأن الأغنياء يشاركونه في مشكلته، يقول في ذلك: "لو تأملت في مساوئ جمعية البشر لرأيت أسّ أساس جميع اختلالاتها وفسادها، ومنبعَ كل الأخلاق الرذيلة في الهيئة الاجتماعية، كلمتين فقط: إحداهما: إن شبعتُ فلا عليّ أن يموت غيري من الجوع. والثانية: اكتسب أنت لآكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا. والقاطع لعرق الكلمة الأولى ليس إلا الزكاة، والمستأصل للكلمة الثانية ليس إلا حرمة الربا، إن عدالة القرآن تقف على باب العالم وتصيح في الربا: ممنوع لا يحق لك الدخول! إن البشرية لما لم تصغ إلى هذا الكلام تلقت صفعة قوية، وعليها أن تصغي إليها قبل أن تتلقى صفعة أقوى وأمرَ"(٢).

خامساً: معالجة مشكلة الفقر بالحثّ على العمل: أدرك النورسي أن الكسل سبب أساسي للفقر، فحث على العمل وأكّد قيمته المعنوية، وأنه يمثل ثقافة التقدم والارتقاء، ولذلك وجه رسالة للكسالى يحفزهم على العمل، ويبين أن لذة الأعضاء وسعادتها بإتمامِ العمل، حيث يقول: "يا من لا يُدرك مدى اللذة والسعادة في السعي والعمل، أيها الكسلان اعلم أن الحق تبارك وتعالى قد أدرج لكمال كرمه جزاء الخدمة في الخدمة نفسها، وأدمج ثواب العمل في العمل نفسه... تأمل في وظائف أعضائك وحواسّك، ترى أن كلاً منها يجد لذائذ متنوعة في أثناء قيامه بمهامه في سبيل بقاء الشخص أو النوع، فالخدمة نفسها والوظيفة عينها تكون بمثابة ضرب من التلذذ والمتعة بالنسبة لها، بل يكون ترك الوظيفة والعمل عذاباً مؤلماً لذلك العضو"(٣).

---

(١) النورسي: المكتوبات، ص ٥١٥.

(٢) النورسي: المكتوبات، ص ٦٠٤- ٦٠٥.

(٣) النورسي: اللمعات، ص ١٨٨- ١٨٩.

ثم إن النورسي أراد توجيه الأنظار إلى أهمية التكسب في علاج الفقر، فحياةُ العاطل شقية وضيقة وفقيرة، وحياة الساعي يقظةٌ وهنيئةٌ وغنية، فهو يقول موضحاً هذا المعنى: "إن أشد الناس شقاءً واضطراباً وضيقاً هو العاطل عن العمل؛ لأن العطل هو ابن أخ العدم، أما السعي فهو حياة الوجود ويقظة الحياة"[1].

المطلب الثالث: سُبل مكافحة الفرقة

تدعو رسائل النور إلى بناء المجتمع بناء صحيحاً، فتدعو إلى تأمين الراحة العامّة والهدوء الاجتماعي، رافضة جميع حركات الهدم والتمزيق، لأنها تؤصل الحركية الإيجابيّة الفعّالة، مناهضة جميع الحركات السلبية بتقوية أواصر المحبة والأخوة والترابط والتراحم في بنية المجتمع، وتدعو بقوة إلى الاتحاد والامتزاج، ومن ثم تحارب بضراوة كل دعاوى وأفكار الفرقة التي حاولت إخماد روح الأخوة التي هي أخص خصائص الدعوة القرآنية، ومن ثم فهي تصنع قواعد لبناء الأمة في مقابل دعاوى القبلية والقوميّة والعنصرية والميلية السلبية والشعوبية[2].

تتعدد في رسائل النور الإشارات والتعبيرات الواضحة الداعيّة إلى نبذ الخلافات والنزاعات التي تنشب نتيجة العناد والحسد والنفاق والحقد، وتدعو إلى التضامن والتعاضد. ويمكن استخلاص سُبل مكافحة الفرقة من رسائل النور كالتالي:

أولاً: الاتفاق والاتحاد ورجوع المسلمين في حل مشاكلهم الدينية إلى القرآن الكريم والسنة النبوية

يكون علاج الاختلاف والتفرقة بالاتفاق والاتحاد ورجوع المسلمين في حل مشاكلهم الدينية إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وأن يأخذوا الأحكام الشرعية والضرورات منهما، ليكون العلاج نابعاً من مصدريه الأساس فيتحقق منه نفع عام للمسلمين وتمسك ورغبة وتوجه نحوهما بدلاً من تشتت المسلمين بين آلاف الكتب الفقهية، التي وجب على المسلمين احترامها وتوقيرها هي الأخرى وتحويلها إلى كتب يستشف منها كنوز القرآن الكريم وتفسيراته فهي "وسائل شفافة كالزجاج لعرض قدسية القرآن الكريم وليس حجاباً دونه أو بديلاً

---

(١) النورسي: المكتوبات، ص ٦١٣، ولمزيد من التفصيل يرجى الاطلاع على مواضع تالية من رسائل النور: مناظرات ص١٠٠، ١٣٦- ١٣٩، الخطبة الشامية ص ٦٤، ١٢٩، الآثار البديعية ص ٦٤، ٣٥٠، محاكمات ص ٣٧، كلمات ص ٧٢٦.

(٢) النورسي: اللمعات، ص ١٧٤.

عنه"[1]. ويكون أخذ الكتب الفقهية بطرق تربوية خاصة لتأخذ تلك الكتب مكانها الطبيعى ولتصل في أهميتها مصاف كتب الأئمة المجتهدين من السلف الصالح، على أن تجعل الغاية من قراءتها هى لأجل فهم ما يأمر به القرآن الكريم وليس لأجل ما يقوله صاحب الكتاب نفسه[2].

ثانياً: إعلاء الأخوة الإسلامية بين المسلمين

يكون علاج التفرقة بإعلاء الأخوة الإسلامية بين المسلمين وأن يستهدوا بقوله تعالى ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾[3]. الذي يشير إلى التساند والترابط الذي إذا اختل تفقد الجماعة قوتها ومكانتها، وبالحديث الشريف «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[4]. أي في الاتحاد القوة والعظمة.

ثالثاً: السعى فى توحيد الجماعات الإسلامية فى المسالك والمشارب

يكون علاج التفرقة بالسعى في توحيد الجماعات الإسلامية في المسالك والمشارب، وانتهاج نهج المحبة فيما بينها وعدم انتقاص أحدها للآخر، واتباع السنة النبوية والامتثال لأوامرها واجتناب نواهيها، وعدم التمايز بين الناس سواء كانوا من الخاصة أو العامة، مع ضرورة المحافظة على النظام العام للبلاد والحرية الشرعية[5].

رابعاً: فكرة إنشاء جامعة إسلامية على غرار الأزهر

تبنّى النورسى فكرة إنشاء جامعة إسلامية على غرار الأزهر، بحيثُ تدرّس فيها معاً العلومُ الشرعية والعلوم الطبيعية، وذكر فائدة هذه الجامعة بقوله: "قبل خمس وستين سنة أردت الذهاب إلى الجامع الأزهر باعتباره مدرسة العالم الإسلامى، لأنهل منه العلوم، ولكن لم يكتب لي نصيب فيه، فهداني الله إلى فكرة وهي: أن الجامع الأزهر مدرسة عامة في قارة أفريقيا، فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غراره، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على أفريقيا، وذلك لئلا تُفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان، وذلك لأجل إنما الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقة الصائبة السامية

(١) النورسي، صيقل الإسلام، السانحات، ص ٣٤٧.
(٢) صيقل الإسلام، ص ٣٤٧- ٣٤٨.
(٣) الأنفال: ٤٦.
(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٣٢، رقم الحديث ١٩٦٢٥، ص ٣٩٩.
(٥) النورسي، السيرة الذاتية، ص ٩٩- ١٠٠، النورسي، صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ص٩٨، ٥٣٦- ٥٣٧، وبديع الزمان النورسي: الآثار البديعية، ص ٣٩٠

الشاملة، فتنال شرف الامتثال بالدستور القرآني: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]"[2].

وهذا يُثبت أن منهج النورسى لعلاج الخلاف منهج علمى إيماني تربوي، إذ يبدأ بتهذيب نفس الإنسان، ثم ينطلق به إلى قمة سامية بأن يكون أداؤه لمسؤولياته وواجباته الاجتماعية بدافع إيماني داخلى، والأساسُ الراسخ لهذا المنهج هو: العلم والمحبة والعدل والتعاون بين أفراد المجتمع على البر والتقوى، ثم التعاون والتآلف بين الشعوب الإسلامية من منطلق الأخوة الإيمانية، ولكن الغُبن الفاحش حصل لما حالت ظروف العلمنة في الجمهورية التركية دون تنفيذ فكرة هذه الجامعة[3].

الخاتمة

عند مراجعة المادة التي قدمتها رسائل النور عن "الأعداء الثلاثة وسُبل مكافحتها في منظور رسائل النور" نجد مايلى:

١- علاج رسائل النور لمشاكل العصر كان بمنهجية شكلت سقفاً راسخاً فوق تاريخ الأمة الإسلامية، متعاملة معها بلغة العصر الداخل بصراع في مواجهة جاهلية العصر الحديث.

٢- وظفت رسائل النور القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في بناء مادتها، متبعة معها عنصر التدرج في البدء والانطلاق من الجزئى إلى الكلى، معدة أن طريق الشريعة الإسلامية وتحقيق الحقائق الإيمانية أقصر الطرق في علاج مشاكل العصر.

٣- شخصت رسائل النور الأعداء الثلاثة الفقر والجهل والاختلاف، وعدّتها سبباً رئيساً في ضعف وتأخر المجتمعات الإسلامية، ووضعت الحلول لها ليستهدي بها المسلمون ويتخطوا العقبات التي وضعها الاستعمار أمامهم والتي تحول بينهم وبين إعلاء كلمة الله والتفاني في سبيلها.

٤- أكدت رسائل النور على قيمة الإخلاص والعمل والعلم، وعدّتها أسباباً لتحقيق رقى المجتمعات، وأكدت على إيمانهم بمبدأ التكامل من حيث ربط العلوم الدينية والعلوم الدينية في سبيل مواجهة جاهلية العصر.

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) النورسي: الملاحق، ص ٤١٦ – ٤١٧.

(٣) زاده، جلال جلالي: قضية العنصرية والظلم الاجتماعي الناتج منها من منظور الإمام النورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النورسي، إسطنبول، ٢٠١٠م، ص ٧٣١ بتصرف.

٥- تشخيصها للأمراض الاجتماعية بنظرة واسعة وعميقة أوقعتها على حلول ناجعة وسريعة تتخطى بها ما تفرزه تلك الأمراض من آثار سلبية على المجتمعات والتي تكون سبباً في إعاقة نهوضها وتقدمها.

المصادر والمراجع

- أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنيل الشيباني، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ج٣٥، ط٢، رقم الحديث (٢١٤٧١)، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م.
- أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، ١٩٩٩م
- بديع الزمان سعيد النورسي: ديوان الحرب العرفي، إسطنبول ١٩٩٠م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م.
- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور (سيرة ذاتية)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، المجلد ٩، ط٥، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دارسوزلر للنشر، الطبعة السادسة ٢٠١١م، القاهرة.
- بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، ٢٠٠٢م
- بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: المكتوبات، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الرابعة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٤م.
- بديع الزمان النورسي، كليات رسال النور (المكتوبات)، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، المجلد ٢، ط٥، المكتوب الثاني والعشرون، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ٢٠٠٨م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، شركة سوزلر للنشر القاهرة، ٢٠٠٣م
- بديع الزمان سعيد النورسي: مناظرات، إسطنبول ١٩٩١م.
- بديع الزمان سعيد النورسي: مناظرات، إسطنبول – دار نشر سوزلر ١٩٧٧م.

- بديع الزمان النورسي: آثار بديعية وهو كتاب جمعت فيه الرسائل المنشورة باللغة العثمانية أي كتابة اللغة التركية بالأحرف العربية.
- بديع الزمان سعيد النورسي: سنوحات: أنقرة ١٩٧٦م.
- بكير، حسن عبدالرحمن: بديع الزمان سعيد النورسي وأثره في الفكر والدعوة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن ١٤٢٠هـ.
- الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٨م.
- "الجريدة الدينية" بتاريخ مارت ١٩٠٩ عدد ٧٠.
- زاده، جلال جلالي: قضية العنصرية والظلم الاجتماعي الناتج منها من منظور الإمام النورسي، بحث مقدم في المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان سعيد النورسي، إستانبول، ٢٠١٠م.
- زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج١، الطبعة الأولى، مصر المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٦هـ.
- أبوداؤد، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داؤد، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.
- ماري ويلد: مؤلفات بديع الزمان كنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب، مؤتمر بديع الزمان، النورسي – إسطنبول ١٩٩٢م.
- محمد أحمد عبدالقادر ملكاوي ود. نهيل علي حسن صالح: المشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال رسائل النور لبديع الزمان النورسي، مجلة الشريعة والقانون، كلية القانون جامعة الإمارات العربية المتحدة، السنة السابعة والعشرون، العدد السادس والخمسون، ذوالحجة ١٤٣٤هـ أكتوبر ٢٠١٣م.
- أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذي: سنن الترمذي، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.
- أبوعبدالله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، موسوعة الحديث الشريف، دارالسلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م.